



أ.د/ إبراهيم الدوسري

رئيس قسم القرآن الكريم
أستاذ القرآن الكريم وعلومه
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض – المملكة العربية السعودية

خطب الجمعة

"وإذ بوأنا لإبراهيم"

من خطب آيات الحج / سورة الحج
الخطبة ١ من ٦
تاريخ الخطبة: ٢ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

الخطبة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
إن الحمد لله نستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن نبينا محمد عبده ورسوله
بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
إلا هالك
فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد،

فاتقوا الله أيها المسلمون حق التقوى
اتقوا الله ما استطعتم، اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم
{ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

إخوة الإيمان
لقد تحدث الله تعالى عن الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج
تحدث عنه في القرآن العظيم وبين أساسه ومنشأه ومقاصده التي من أجلها قام هذا الركن
وشرعت فيه تلك الشرائع وتلك المناسك والمشاعر العظيمة
{ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }



وسُمِّيَتْ باسمه سورة من سور القرآن الكريم

حيث جاء فيه قول الله تعالى

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ... }

وهكذا تتابع الآيات، آية تلو الأخرى، للتحدث عن تلك المنافع وتلك المقاصد الشريفة التي ينبغي
على الحاج على كل مسلم أن يتأمل فيها لأنها تزيد في إيمانه وتعظم من حرمان الله عز وجل
وفي ذلك تعظيم لله عز وجل
وإجلال له تبارك وتعالى

فهذه الآية الأولى التي استهلّت بها هذه القصة العظيمة

وهي قول الله تعالى

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا }

تبين قصة بناء هذا البيت العتيق، وأن الله تعالى هيأه لإبراهيم نبي الله الخليل عليه الصلاة والسلام
خليل الله وأب الأنبياء وهو من صفوة الرسل ومن أولي العزم الذين خصهم الله تعالى بالذكر
والتنويه والإشادة

فهو الذي تولى رفع قواعد هذا البيت العتيق، كما قال تعالى في آية أخرى

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا }

يقول الله تعالى في هذه الآية الواردة في سورة الحج

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ }

أي أن الله تعالى هيأ لإبراهيم معرفة مكان هذا البيت
ووطأ له سبيل العلم به وإقامته على توحيد الله عز وجل

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ }

كان هذا المكان مغموراً لم تظهر معالمه بعد، وإن كان مقرراً أنه فيه هذا البيت العظيم، وهي
الكعبة المشرفة التي أقامها إبراهيم على قواعد التوحيد عليه الصلاة والسلام

لكن الله تعالى خص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بتعريفه بمكان هذا البيت بعد أن طمرته وغطته
كثير من العوامل فلم يظهر للناس بل اختفى واختفت معالمه حتى أعلم به إبراهيم عليه الصلاة
والسلام

فأراد أن يظهره للناس بأمر الله عز وجل وتوجيهه فرفع قواعد وبنى عليها تلك الجدران الشريفة
بتوجيه الله عز وجل

أقامها عابداً لله، خاشعاً لله، خائفاً منه سبحانه وتعالى أن يُرد عليه

فهو وهو يقوم بهذه العبادة الجليلة يطلب من الله تعالى أن يتقبل منه وأن لا يرد عليه عمله، فيقول

{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }



أمر الله تعالى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يقيم هذا البناء على قاعدة مكينة، وعلى أساس رصين، وهو توحيد الله تبارك وتعالى وهذا ما نوّه الله تعالى به في القرآن العظيم فلم يبيّن أنواع الحجر التي بناها إبراهيم، ولم يبيّن أنواع مواد البناء ونحوها، وإنما بين الله تبارك وتعالى ما يحتاج الناس إليه وما عليهم قوامهم وهو توحيد الله تبارك وتعالى فجعل هذا البيت رمزا على التوحيد وشعارا على تعظيم الله عز وجل

وسماه الله تعالى بيتا، من السكن والمبيت، لأن المبيت يسكن فيه الإنسان، ويطمئن فيه الإنسان فهذا البيت سمي بهذا الاسم من هذا القبيل، لأن التوحيد إذا لجأ الإنسان إليها، فإنه يطمئن، ويهدأ باله، ويصلح حاله، وتزدلد ثقته وعلاقته ورابطته بالله تبارك وتعالى

فسماه الله تعالى بيتا، ولكن ليس كسائر البيوت، وإنما نسبه إلى نفسه فقال (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين) فنسب هذا البيت إليه سبحانه وتعالى، تعظيما لهذا البيت، وتنويها بمكانته، ليعرف الناس مقداره وعظمته، وأنه من الله عز وجل، وأن الله تعالى هو الذي تولى الأمر به، وأن الله تعالى هو الذي كلف إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، أبا الأنبياء، بأن يقوم بهذا العمل الشريف

ويأتي التعبير بقول الله تعالى

{ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا }

فهذه الآيات، كما أنها ترغّب في توحيد الله عز وجل، إلا أنها تنفّر من الشرك ومظاهره وعواقبه الوخيمة والتي كان الناس عليها عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإنهم من مبلغ جهلهم وعُميهم وجهالتهم، كان يضعون بجوار هذا البيت الذي جُعِل للتوحيد، أصناما يعبدونها من دون الله عز وجل، أو يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وهذا يتنافى مع ما جاء به إبراهيم صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله عز وجل

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا توحيدا خالصا ونعوذ به أن نشرك به ونحن نعلم ونستغفره لما لا نعلم

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين



أما بعد،

فإننا إذا تدبرنا قول الله تعالى
**{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ }**

وجدنا أن الله تعالى يأمر بطهارة هذا البيت لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بُعث إلى قوم
مشركين، كما بُعث سائر الأنبياء
كانوا يشركون بالله تعالى، فأمر الله بأن يطهر هذا البيت من الأرجاس والأصنام والأنجاس، ومن
كل ما يتنافى مع توحيد الله عز وجل
فإن الله تعالى قد جعل هذه البقعة آمنة مطمئنة
ليجد الناس فيها الأمن ويجدوا فيها الطمأنينة لتكون أنموذجا لعبادة الله عز وجل ولسائر بيوته في
كل مكان
قال الله تعالى

{ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ }

فبها تقوم حياتهم ويطمئنون ..

حتى إن القاتل ومن قتل وليه يلتقيان عند البيت العتيق فلا يختصمان، تعظيما لهذا البيت

وذكر العلماء أن الطهارة تشمل كل شيء، حتى الأقوال المشينة، والأخلاق السيئة، وكل ما يتنافى
مع تعظيم الله عز وجل، ينبغي أن يكون البيت خلوا منه، وأن يطهر البيت من هذه الأخلاق
والأقوال والأفعال التي تتنافى مع قدسيته

فإنه بيت الله عز وجل وفيه من ملائكة الله الذين يطوفون به
وفيه من عباد الله الذين يطوفون، ويقومون، ويصلون ويركعون ويسجدون من ينشدون هذه
الطمأنينة وهذا السكون ليتفرغوا لعبادة الله تعالى

فلا يليق بعد هذا لأحد أن ينغص عليهم وأن ينكده عليهم في شيء من ذلك من قول أو فعل
ولهذا قال الله تعالى

{ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ }

ويشمل هذا أيضا جميع بيوت الله تعالى ومساجده
فإنها تأخذ كثيرا من الأحكام، وتنطبق عليها كثير من أحكام البيت لأنها أيضا هي بيوت الله تعالى
التي يعبد فيها ولا يشرك به شيئا

قال الله تعالى

{ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِيُحْكَمُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُكْفِرُوا بِهِمْ خَصَّصْنَا لِيُجَاهَدُوا فِيكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ }

قال أهل التفسير، رفعها هو ببنائها ورفعها يكون بتطهيرها من كل ما يندسها من قول أو فعل أو
خلق مشين

ولهذا ينبغي أن تكون بيوت الله عز وجل مهينة تهيئة تامة بحيث لا يكون فيها ما يشوش على
المصلين



حتى الروائح الخبيئة من أكل البصل والثوم، وأشد منها روائح الدخان والملابس المتسخة
والروائح الكريهة والحركات المزعجة للمصلين
وكذلك أصوات رنين الجوالات وما شابهها، مل هذا يتنافى مع رفع بيوت الله وتنقيتها مما يزجج
ويشوش عباد الله في بيوت الله

المسلم أتى لبيت الله تعالى ليهدأ وليطمئن ولتيفرغ لعبادة الله
فلا يجوز لأحد بعد هذا أن يشوش عليه وأن ينغص عليه في عبادته

صلوا عباد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن من صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها
عشرا

وقد أمرنا الله تعالى بذلك بعد أن بدأ بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، فقال
{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
وارض اللهم عن الأئمة الحنفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك صلى الله
عليه وسلم
وعنا معهم بعفوك ورحمتك وإحسانك يا رب العالمين

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
